

الراغدين ببلاد شعوب حياة تطور في دوره ودبر العبد

الدكتور / أحمد محمد انديشة

الأستاذة/آمنة الك

المقدمة

تعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات القديمة التي شهدتها مناطق الوطن العربي، حيث شكلت منعطفاً كبيراً في تاريخ الإنسانية وأسهمت في تقدم مناطق أخرى في أوروبا مثل: بلاد الإغريق، في هذا البحث نتناول ظهور المعبد والدور الذي قام به في حضارة بلاد الرافدين وكيف تكونت المدن حول المعابد والمادة التي أسهمت في بناء المعابد والأسلوب المتبعة في بنائهما والمسرفين عليها ثم كيف أسهمت هذه المعابد في مساندة الحكم بصفتها بيت الآله.

كما يتناول البحث الإسهامات التي قدمها المعبد في خدمة حضارة بلاد الرافدين سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، فضلاً عن مهمته الرئيسية وهي الوظيفة الدينية التي ترتب عنها أن المعبود أصبح يملك أراضي خاصة به يؤجرها أو يستغلها عبيده أما كهنة المعبود فقد أسهموا في النشاط التجاري بصورة كبيرة ، وأصبحوا يتقاسمون مع الحكام السلطة على المعبود الذي سُخرت إمكانياته لخدمة الحكام ودخل المعبود ضمن الإصلاحات أو القوانين التي صدرت في بلاد الرافدين ومشكلة البحث تتلخص في ظهور المعبود والدور الذي قام به في حضارة بلاد الرافدين.

ولدراسة الموضوع بصورة شاملة وعامة يمكن وضع التساؤلات التالية:

- كيف ظهرت فكرة المعابد؟ وما هي الدواعي لظهورها؟ ولماذا كانت المعابد تبني قبل بناء المدن؟ وهل تطور المعبد في بنائه والمواد المستخدمة ؟ ثم من الذي أشرف على المعبد؟ وما الوظائف التي قام بها المعبد؟ وكيف سيطر كهنة المعبد على الشعب ثم على الحكام؟ كيف استطاع الحكام بعد ذلك احتواء الكهنة وتسخيرهم لخدمة السلطة الحاكمة؟ وأخيراً ما دور الذي قام به المعبد من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فضلاً عن وظيفته الدينية؟

أما حدود البحث الزمنية فهي منذ بداية نشأة المعبد حتى نهاية الحضارات القديمة في بلاد الرافدين بسقوط الدولة البابلية الثانية (الدولة الكلدانية) في يد الفرس عام: 539 ق.م. وحدوده المكانية هي بلاد الرافدين.

يهدف البحث إلى دراسة جانب مهم من حضارة بلاد الرافدين وتوضيح الدور الذي قام به المعبد في هذه الحضارة سواء في الجوانب المادية أو المعنوية.

٤٠ أعضاء هيئة تدريس بقسم التاريخ - الأكاديمية الليبية - مصراتة

وأهمية الدراسة تتبلور في الغوص في جانب مهم من حضارة بلاد الراافدين التي أسهمت بصورة كبيرة في تقديم السكان ورقيهم الفكري والمادي والإسهام في تقديم الحضارات الأخرى.

وقد اتبع الباحثان في بحثهما المنهج التاريخي السردي التحليلي للوصول إلى النتائج المرجوة أما الدراسات السابقة فتتمثل في الآتي:

- صموئيل كريمر، من ألواح سومر، ت. طه باقر، بيت الورق، بغداد، 2010م.
- ثيونيف، "اقتصاد الدولة في سومر" مجلة سومرت، سليم طه التكريتي / ج. 2.1 / 29، مديرية الآثار العامة، بغداد: 1973م.
- ستيفنلوي، آثار بلاد الراافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ت. محمد طلب، دمشق: 1992م.
- خزعل الماجدي، سحر بديايات التكوين في ريعان فجره، النايا للدراسات والتوزيع، دمشق: 2011م.
- وغيرها من الدراسات السابقة التي اعتمد عليها الباحثان.

المعبد ودوره في تطور حياة شعوب بلاد الراافدين

يُعد إنشاء المعابد من أهم المظاهر الحضارية التي امتازت بها شعوب بلاد الراافدين؛ لما أحدهته من تغيرات جذرية في حياتهم، ولعل أهم التغيرات هي إنشاء أول مدينة في التاريخ، وهي مدينة (أريدو) في جنوب بلاد الراافدين، حيث تجمعت من حول المعبد البيوت، وانتقلت القرية إلى مدينة لأول مرة⁽¹⁾، وكان ذلك في الألف الخامس قبل الميلاد.

وقد تعددت الآلهة فكان إلى الله السماء، وإنانا - (عشـتـار) ربـهـ الخـصـبـ والـحـبـ، وإنـيلـ إـلـهـ الجوـ، وـونـظـرـاـ لـأـهـمـيـةـ الـآـلـهـةـ عـنـدـ شـعـوبـ بـلـادـ الـرـاـفـدـيـنـ عـمـلـوـاـ عـلـىـ إـقـامـةـ الـمـعـابـدـ لـهـاـ⁽²⁾، وـلـكـنـ بـمـاـذـاـ تـفـسـرـ ظـاهـرـةـ بـنـاءـ الـمـعـابـدـ؟ـ إـنـهـاـ تـدـلـ عـلـىـ إـيمـانـهـ بـعـبـادـةـ الـآـلـهـةـ الطـبـيـعـيـةـ، وـكـذـلـكـ عـلـىـ اـسـتـقـرـارـهـمـ فيـ قـرـىـ ثـابـتـةـ⁽³⁾، أـيـضاـ حـاجـتـهـ لـوـجـودـ مـكـانـ تـمـارـسـ فـيـ الـطـقـوـسـ الـدـيـنـيـةـ بـشـكـلـ جـمـاعـيـ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ خزعل الماجدي، سحر بديايات التكوين في ريعان فجره، النايا للدراسات والتوزيع، دمشق: 2011م: 180؛ تخبة من العلماء: الموسوعة الأثرية العالمية، ت. محمد عبدالقادر محمد ذكي اسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1997م: 213.

⁽²⁾ محمد حرب فرزات وعيid مرعي، دول وحضارات في الشرف القديم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بيروت: 1990م: 93.

⁽³⁾ عمر محمد صبحي عبدالحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1958م: 121.

⁽⁴⁾ تقى الدباغ وآخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد، 1983م: 213.

تبين الآراء حول المادة التي يبني بها المعبد ويرى بعضهم أنها بنيت من اللبن؛ وذلك بسبب عدم توافر أي مادة أخرى ، في حين بُنيت المراافق من الحجر بسبب تعرضها للمياه ، ويعلل فريق آخر سبب بناء المعابد بالطين هو نوع من القداسة للإنسان: لكونه خلق من طين⁽⁵⁾

ويرى الباحثان أن استخدام الطين في البناء تعبير عن فكرهم الديني ، ولعل ما يؤكّد ذلك هو صنعهم تماثيل طينية لآلهة الأمة ، وذلك خلال عصور ما قبل التاريخ تقديساً منهم للخصوصية ، وكل ما يعمل على زيادة الإنتاج⁽⁶⁾.

وفي نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد تم بناء معبد على قاعدة واحدة مرتفعة في جنوب بلاد الرافدين ، ولكن لماذا تبني بهذا الشكل؟ الجواب: لكي يقيهم من الأخطار الطبيعية والبشرية⁽⁷⁾ ، لذلك كان المعبد يبني على ارتفاع كل مدينة وتحيط به الأسوار ، وتوجد في داخله المساكن التي يقطنها سكان المعبد وكذلك توجد به المخازن والمكاتب⁽⁸⁾ ، كما كان المعبد مسكن الإله وزوجته وأطفاله وخدمة⁽⁹⁾.

ومن خلال ذلك يتضح أن بناء المعابد كان له العديد من الآثار الإيجابية ، فلم تحصر وظيفته في كونه مكاناً للعبادة فقط ، بل تعددت وظائفه ، وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى استقرارهم في أماكن معينة ، كذلك كانت المنفذ من الأخطار البشرية مثل: أخطار الفزو ، وكذلك من خطر الفيضانات ، لذلك فضلت أعداد كبيرة من شعوب بلاد الرافدين العمل في الزراعة ضمن مزرعه ، المعبد ، وهو ما سوف نتعرض له فيما بعد.

أما عن أسلوب بناء المعابد في بلاد الرافدين لا يختلف من مدينة إلى أخرى ، بل حرصوا على بناء المعابد في نفس أماكن المعابد السابقة نفسها ، وذلك دليل على استمرارية المعتقدات الدينية⁽¹⁰⁾.

ُقسم المعبد في بلاد الرافدين إلى قسمين الأول يمثل المعبد العالي ، الذي يتكون من الزاقورة^(*) ومعبدها العلوي لأقامة الإله عند نزوله من السماء ، وذلك خلال احتفالات رأس السنة ، في حين انفرد المعبد الأرضي لأداء الطقوس الدينية ، كما خصصت حجرة للهيكل التي مثلت أقدس مكان في

⁽⁵⁾أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم مصر والعراق دراسة حضارية، النهضة العربية، بيروت:2002م -434- 435.

⁽⁶⁾أحمد أمين سليم، المرجع السابق:393.

⁽⁷⁾نخبة من العلماء، المرجع السابق: 240: أحمد أمين سليم ، المرجع السابق: 334- 335.

⁽⁸⁾رافل لنتون، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ت. أحمد فخرى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت: 220.

⁽⁹⁾لـ ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ت. محـرم كـمال، طـ. الثانية، الـهـيـة المـصـرـيـة العـامـة لـلكـتاب: 1997م: 147.

⁽¹⁰⁾نقـي الدـيـاغـ وـآخـرـونـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـ213ـ.

(*) الزاقورة (Ziggurat) هو اسم يطلق على برج المعبد من أبرز المميزات المعمارية والدينية للسومريين والبابليين والأشوريين وتتضمن مبني الزاقورة ثقب عملت من أجل إخراج الماء منها للمزيد يراجع تخبـةـ منـ العـلـمـاءـ، المرـجـعـ السـابـقـ: 240- 241.

المعبد⁽¹⁾، وكانت عبارة عن حجر من دون نوافذ، ولا مجال لدخول الضوء لها إلا من الباب، وفي حالة تعرض الحاكم للمشاكل ينام الحاكم داخل الهيكل، إذ قد يزوره الإله في الحلم ويخبره بالحل⁽²⁾، وتمتّع الهياكل بنصيبي وافر من غنائم الحرب، كما فرضت ضريبة سنوية على مساحات من الأراضي متمثلةً في التمر والحبوب والفاكهه، وفي حالة عدم تقديمها تنزع ملكيتها من قبل الهياكل، كما خصص القراء والأغنياء جزءاً من مكاسبهم للهياكل، وهكذا أصبحت خزانة الهياكل ممتلئة بالمعادن والجواهر والأخشاب⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بالإشراف على إدارة المعبد وممارسة الطقوس الدينية فقد انحصرت في الآتي:

1- الفئة الدينية: (الكهنة والكافئات)

كانت المهام الدينية لكلا الجنسين، حيث كان لكل مجموعة مهمة خاصة بها ، انحصرت في إدارة املاك المعبد، ونشاطه الاقتصادي، وجاء آخر انحصرت مهمتهم في تفسير الأحلام، وال술 وقراءة الطالع كما كان من بينهم المغنوون ، والراقصون، والمرتلون⁽⁴⁾ .

2- الفئة المكتبية (الموظفون):

نتيجة لسيطرة كهنة المعابد الاقتصادية والاجتماعية أصبحت الحاجة ضرورية لوجود عدد كبير من المكتبية، الأمر الذي أدى إلى تطور الكتابة، ومع تزايد عدد المدن والممالك ازداد الطلب على أعداد أخرى، وتعددت مهامهم، فكان بعضهم يختص بالناحية الدينية، وبعضهم الآخر للأمور الاقتصادية والسياسية ، لتنظيم وتوجيه الحكم.

شكل ناظر القصر قمةه العليا في فئة الكتبة، ويتم إعدادهم في الهياكل⁽⁵⁾. ولكن هل استمر بناء المعابد على الشكل نفسه الذي ظهرت عليه أول مرة أو لا؟ في الواقع لم تستمر على ما كانت عليه في العصر البابلي القديم ، حيث كانت على شكل مصغر للمعبود القديمة، ثم تم بناء المعابد الصغيرة، وهي التي خصصت لعبادة الآلهة الثانوية⁽⁶⁾. مما تقدم يلاحظ أن ظهور المعابد يُعد تحولاً حضارياً في تاريخ بلاد الراذدين، فقد أدى إلى العديد من النتائج الإيجابية، فمن ناحية آسهم في استقرارهم وتجتمعهم في مكان واحد ، وتوفير فرص العمل للعديد من أفراد المجتمع، كما تعدد وظائفه، وكان بمثابة مركز الدولة التي تسّلمت شؤون

(1) تقى الديباخ وآخرون، المرجع السابق: 213 - 214.

(2) رالف لنثون، المرجع السابق: 220 - 221.

(3) أول يورانت، قصة الحضارة الشرق الأدنى القديم، ت. زكي نجيب محمود، ج 12، مج 2، دار الجيل، بيروت: 1988م: 212.

(4) تقى الديباخ وآخرون، المرجع السابق: 214.

(5) عمر محمد صبحي عبدالحي، المرجع السابق: 129 - 130.

(6) محمود شاكر، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة ، تاريخ الأمم والملوك، ج الأول، دار أسامة، عمان، 2000م: 84.

البلاد، بمعنى أن وجود المعابد أسمهم في حركة التطور في مختلف المجالات، مثل: المجالات الثقافية والاقتصادية التي سوف تتعرض لها لاحقاً.

فأما يختص بالناحية الثقافية فقد كانت المعابد مركزاً للتعليم، واستخدمت جزءاً من أجنبية المعابد مكان للتعليم والتدريب على القراءة والكتابة⁽¹⁷⁾، وانحصر التعليم في فئة الذكور وقليل من البنات، أما المدرس فقد انحصرت مهمته في إعداد التلاميذ، ليكونوا أطباء ومحامين، وكهنة إضافة إلى الكتبة⁽¹⁸⁾ الذين يعدونهم من أجل تسلمه الحسابات العمومية، وتذوين كل ما يتعلق بالمجتمع بشؤونه الدينية والاقتصادية، واقتصر التعليم على فئات معينة مثل: الحكماء والمدينة المشرفين على إدارة المعابد⁽¹⁹⁾، يتبع من ذلك أن المعابد كانت بمثابة مركزاً دينياً علمياً، لأنه لم تتحصر مهامها في الناحية الدينية فقط، بل كان لها دوراً بارزاً في التطور العلمي والثقافي، حيث تعددت التخصصات العلمية: ولكن هذا التطور اقتصر على فئات معينة في المجتمع بمعنى أن التطور العلمي والثقافي لم يشمل جميع فئات المجتمع بالرغم من ولاء جميع أفراده للمعابد، وتقديم الهدايا والمنح له حتى من قبل الفقراء، ولعل السبب في ذلك نتيجة لوجود العديد من الحرفيين مثل الزراعة، والرعي، والصناعة، وهذه الحرفة تطلب أيدي عاملة، وفي حالة فتح المجال لختلف فئات المجتمع لن توافر لهم الأيدي العاملة، لذلك اقتصر التعليم في طبقات معينة من المجتمع، على حين استخدمت الفئات الأخرى استخدمت لممارسة الحرفة والتي كانت تحت سيطرة المعبد مثل الزراعة والصناعة والرعي والتجارة وهو ما سوف تتعرض له فيما يأتي:

أما فيما يتعلق بسيطرة المعبد على الناحية الاقتصادية فقد شكل المعبد مركزاً اقتصاد بالدولة، فكان مخزناً للحبوب، والمعدات والمصرف، والسوق، ومالك الأرض التي تعود ملكيتها إلى الإله أنه أدين رئيس أساقفة المعبد⁽²⁰⁾، الأمر الذي أدى إلى وجود مزارع جماعية تشمل أجزاء كبيرة من أراضي المجتمع، وذلك خلال مراحل تطوره الأولى .

تعددت الآراء فيما يتعلق بملكية المعبد للأرض فيرى طه باقر وجود فكرة الملكية الخاصة على حين أكد كريمر على وجود حكومة دينية تحت سيطرة المعبد، وتمتلك جميع الأرض، وذكر أن شعوب بلاد الرافدين يعتقدون بأن المدينة تخضع للآلهة ، فهي تحكمها وتملكها، كما أكد على أن المدينة لها علاقة بالبيئة الطبيعية، والمتمثلة في الفيضانات والعواصف والجفاف، والثلوج، وأن المدن

⁽¹⁷⁾ نقى الدباغ وآخرون ، المرجع السابق: 323.

⁽¹⁸⁾ رالف لنتون ، المرجع السابق: 224.

⁽¹⁹⁾ صموئيل كريمر، من ألواح سومر، ت. طه باقر، بيت الوراق، بغداد : 2010: 48؛ عمر محمد صبحي، عبدالحي، المرجع السابق: 130.

⁽²⁰⁾Federico, A., arboriomella, DAI Sumeri A Bobele, La Mesopotamia – storia, cultura, Copyright, U. mursia , editore, S.P.A 1979, P37.

التي تعتمد على الري بحاجة إلى مجاري مائية ثابتة، وهذا يتطلب مراقبةً وعملاً شاقاً، لأن مياه دجلة تحمل معها غزيناً تغلق به الأقنية، لذلك فإنها مهددة بالانفجار، لذلك كان إيمانهم بوجود قوة الآلهة التي تحكمها⁽¹⁾، ويريد الباحثان الرأي الأخيرة، لأن الجانب الديني كان له مكانة مميزة، لذلك لم تمانع شعوب بلاد الراذدين من وجود ملكية المعبد، وأصبحت لكل مدينة معبد لها الخاص، الذي يحميها من الأخطار الطبيعية والبشرية.

أما الملكية الفردية للأرض وخاصة في بداية قيام المدن فهي مستبعدة؛ لأن الفرد يحتاج للأدوات الزراعية والحبوب والحيوانات المستخدمة في الزراعة، كذلك إلى سوق لتصريف الإنتاج وأيدي عاملة، وكل هذه الاحتياجات كانت ضمن سلطة المعبد.

وقد قسمت أراضي المعبد إلى ثلاثة أقسام ،من أجل استثمارها هي⁽²⁾

-القسم الأول: يُزرع من قبل أفراد، وستغلى الفائدة للمعبد.

-القسم الثاني: يقدم لبعض أفراد المجتمع مقابل خدمات يقدمونها للمعبد.

-القسم الثالث: يؤجر مقابل مقدار عيني من إنتاج الأرض مع عدم التصرف في الأرض بالبيع أو الشراء في الأصناف الثلاثة، أما استغلال أرض المعبد فكان يتم بطرقتين:

-يؤجر للزارعين الأحرار مقابل نسبة من المحصول.

-أرض يرثها العبي، وكذلك بعض المزارعين الأحرار.

ويجب عليهم إعطاء كل ما جنوه من الأرض، أما الأجر الذي يتحصلون عليه فهو الحبوب وبعض المنتوجات⁽³⁾. أما العمل في مزرعة المعبد فكان يعتمد على الأحرار، وذلك خلال العصور القديمة؛ لأنهم يرون أن العلاقة بين الرجل والتربة علاقة زواج الرجل من الآلهة، ويُعد الرجل الذي يمارس مهنة الزراعة شريفاً، وتقدم لهم الآلات الزراعية والحيوانات من قبل المعبد، أي ضمن ممتلكاته⁽⁴⁾، وكان للمعبد موظفات هما شاتمو وفيبو، وانحصرت مهمتهما في شؤون الدولة الاقتصادية⁽⁵⁾، أما الحرف في مزرعة المعبد فقد كانت في تطور وأصبحت هناك حرف جديدة، وأضحى هناك وكلاء

(¹) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد ، بغداد: 1981م: 109- 110 - 113 - 114 .

(²) طه باقر وفاضل عبدالواحد، تاريخ العراق القديم، ج الأول، مطبعة جامعة بغداد: 1980م: 117؛ محمود شاكر، المرجع السابق: 47.

(³) ف. داكوفس. كوفاليف، الحضارات القديمة، ت. نسيم واكيم اليازجي، ج الأول، دار علاء الدين، دمشق: 2000م: 87.

(⁴) جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم، دراسة تحليلية للأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ت سليم طه التكريت، منشورات وزارة الإعلام، بغداد: 1976م: 42- 43؛ عبد الرضا الطعان، المرجع السابق: 118.

(⁵) هذيب غزالة، الدولة البابلية الحديثة (626- 639) قم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: 2001م : 98 .

خاصون للحرف، وكذلك يوجد رئيس لكل حرفة ، مثل رئيس النجارين، ورئيس الحدادين⁽²⁶⁾، وقسم العاملين في المعبد، كل فرد حسب مهنته، بل حتى أصحاب المهنة الواحدة كانوا مصنفين إلى العديد من الأصناف، فكان هناك الرعاة لختلف الحيوانات، وصيادي الأسماك، والأنهار، والبحار، إلى جانب الحرمين كانت تهيئة الطحين والغزل والحياة من ضمن أعمال النساء، والناسخين، ومسجل الأرض شادو، والموظفين الصغار، أما إدارة المعبد فكانت بيد المشرف أكرييك والمسؤول نوباندا⁽²⁷⁾.

من ضمن التطورات في مزرعة المعبد تطور فن البسترة وتربية الطيور، ولعل أكثر التطورات في مزرعة المعبد هي تطور الكتابة والتدوين؛ لأن الكتابة التصويرية البدائية لم تكن ملائمة للتتطور الاقتصادي في المعبد، وقد تم الكشف عنها من خلال الألواح المحفوظة في سجلات أور⁽²⁸⁾ كما كان صيد السمك من ضمن الحرف التي كان لها دور في اقتصاد المعبد، وكذلك الخبازون، وصانعوا الجعة والفخار⁽²⁹⁾.

أما مخازن الحبوب فإنه لم ينحصر استخدامها في إشباع حاجة الكهنة أو في تقديم القرابين لهم، بل كانت تعطى للمواطنين على شكل حصص، وذلك خلال أيام الأعياد⁽³⁰⁾، وتميز المعبد بتركيز ثروته، ولعل أهم العوامل التي ساعدت على تركيز ثروته هي تقديمها القروض بفوائد⁽³¹⁾. أما بالنسبة للتجارة فقد كان الكهنة من أعظم التجار، وكانوا يبيعون منتجاتهم في سوق المعبد، ويستثمرون أموال الأهالي، وهكذا أصبحت أرباحهم مضمونة، ولو كانت قليلة، أما الفقراء والمرضى فقد كانوا يقرضونهم من دون فائدة، إلى جانب قيامهم بتوثيق العقود وشهادتهم عليها، ويسجلون الأعمال التجارية⁽³²⁾، ويدرك كريمران التجار كانوا يمارسون تجارة حرفة لحسابهم الخاص في البر والبحر، وإن المنتجين، وأصحاب الحرف يستطيعون بيع منتجاتهم في السوق الحر⁽³³⁾، بينما يؤكد ول ديورانت على أن الكهنة كانوا من أعظم التجار، ويباعون منتجاتهم في سوق المعبد⁽³⁴⁾، إلا أن الباحثين يخالفان الرأي الأول، ويؤكدان على أن التجارة لم تكن حرة، بل

⁽²⁶⁾ تيومنيف، "اقتصاد الدولة في سومر"، مجلة سومر، ت. سليم طه التكريتي، ج، الأول والثاني، مج. التاسع والعشرون، تصدرها مديرية الآثار العامة، بغداد: 1973م: 176 - 177.

⁽²⁷⁾ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم العراق حتى العصر الأكدي، مطبعة جامعة بغداد: 1978م: 290 - 291.

⁽²⁸⁾ ب تيومنيف، المرجع السابق: 272.

⁽²⁹⁾ المرجع نفسه: 270.

⁽³⁰⁾ عبد الرضا الطعان ، المرجع السابق: 119.

⁽³¹⁾ رالف لنتون، المرجع السابق: 224.

⁽³²⁾ ول ديورانت ، المرجع السابق: 212 - 213.

⁽³³⁾ صموئيل كريمر، المرجع السابق: 112 - 113.

⁽³⁴⁾ ول ديورانت ، المرجع السابق: 212.

كانت ضمن سيطرة المعبد، ولعل ما يؤيد ذلك أن أصحاب الحرف والصناعات والمنتجين أو السوق من ممتلكات المعبد؛ لذلك فإن التجارة لم تكن خارج سيطرة المعبد.

ما تقدم يتضح أن سيطرة المعبد كانت على مختلف نواحي الحياة، وخاصة الناحية الاقتصادية، ومع سيطرته على ملكية الأرض فقد منحت أجزاء منها للاستغلال، وليس التصرف، لذلك وفر لهم فرص عمل، كما أدت سيطرته على التجارة إلى توفير المال لدى الطبقات الفقيرة من خلال إقراضهم المال دون فائدة أيضاً عمل على إيجاد حرف جديدة لم يمارسونها من قبل، وهكذا أدى إلى إحداث نقلة اقتصادية، ومع إحداث العديد من التغيرات مثل توفير حرف جديدة، وتطور فن البستة، والدقة في تحديد الوظائف إن تطور الكتابة يعد من أفضل التغيرات التي شهدتها بلاد الراذدين خلال إدارة المعابد، ولكن هل استمر التطور الحضاري الذي صاحب سيطرة المعبد على مختلف نواحي الحياة؟

لم تستمر سيطرة المعبد، وانتقلت مزارع المعابد لمزارع الحكم⁽³⁵⁾، الذين اشتغلوا بالحروب، وأكدوا على ضرورة السيطرة على أملاك المعبد من أجل تجهيز الجيوش، وبسبب ظروف الحرب لم تكن هناك معارضة لهم من قبل أفراد المجتمع⁽³⁶⁾، وأصبحت مزارع المعبد ملكاً للحاكم وأسرته، ولم يعد الكاهن هو المسؤول الرئيسي الإداري، بل كان المشرف (بونابدا) والموظفيين الذين يتم تعينيهما من قبل الحاكم⁽³⁷⁾، وظهرت الملكية الفردية للأراضي والبيوت، فتمكن أغلب أفراد المجتمع من امتلاك الأرض الزراعية واستئجارها، ولكن قبول الملكية الفردية نتج عنها تحمل الفرد عاقبة الأزمات الاقتصادية، التي قد تحدث له، الأمر الذي أدى إلى فقدانهم لحربيتهم وحرية أولادهم وزوجاتهم، بسبب عدم تمكّنهم من سداد الديون⁽³⁸⁾، ولعل خير دليل على التغيير الاقتصادي الذي شهدته بلاد الراذدين هو ظهور إصلاحات أورووكاجينا (2371-2378ق.م) الذي حاول جاهداً إبقاء سلطة المعبد⁽³⁹⁾، إلا أن محاولته لم تكن سوى محاولة سمية انحصرت في ظهور اسم الإله مرة أخرى في الوثائق الإدارية، ولكن هل اختفت مزارع المعابد كلياً؟ لم تختف، إلا أنها لم تُشكل الدور الرئيسي للحياة الاقتصادية في لکش⁽⁴⁰⁾، يُستدل من ذلك أن بلاد الراذدين قد شهدت تطويراً حضارياً خلال سيطرة المعبد، إلا أن هذا التطور لم تشهده خلال سيطرة الحكم؛ وذلك بسبب انشغالهم بالحروب، ولعل ظهور إصلاحات أورووكاجينا خير دليل على ذلك، حيث سعى جاهداً من

(35) تيومنيف، المرجع السابق: 277.

(36) صموئيل كريمر، المرجع السابق: 114.

(37) تيومنيف، المرجع السابق: 277.

(38) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، دراسة تاريخية قانونية، ج الأول، دار الكتب والنشر، الموصى: 1977م 76.

(39) المرجع نفسه، ص 152.

(40) تيومنيف، المرجع السابق: 277-278.

أجل إعادة سيطرة المعبد، ولكن محاولته اختزلت في ظهور اسم الإله في الوثائق الإدارية، وهكذا طفت سلطة الحكماء أمام السلطة الدينية.

الخاتمة

خلال دراسة موضوع المعبد ودوره في تطور حياة شعوب بلاد الرافدين تتضح النتائج التالية:

أولاً- كان للمعبد دور بارز في ظهور المدينة في بلاد الرافدين، حيث كان مركز المدينة، مثل ما كانت الأجرأ أو الفورم في بلاد الإغريق والرومان.

ثانياً- تطور بناء المعبد من عصر إلى آخر في بلاد الرافدين، حتى وصل إلى صورة رائعة من دقة البناء وجمال المنظر مع ملاحظة أن المعابد كانت تبني في أماكن المعابد السابقة نفسها وهموا يدل على تواصل المعتقدات الدينية.

ثالثاً- لم يكن للمعبد وظيفة دينية فقط، بل أصبح المنفذ لشعوب المنطقة في حالة الغزو أو حدوث الفيضان.

رابعاً- لعب المعبد دوراً مهماً في الجانب الاقتصادي، خاصة في مجال الزراعة، حيث أصبح يملك مساحات واسعة من الأراضي، يتم استغلالها من قبل عباد المعبد أو تؤجر للفلاحين لزراعتها.

خامساً- قدم المعبد المساعدات للمواطنين تمثلت في القروض التي تمنع من طرفه بفوائد.

سادساً- أسهم المعبد في وجود العديد من الحرفيين في بلاد الرافدين وتحصيص رؤساء لهذه الحرفة المختلفة وتقسيم العمل في المعبد، الأمر، الذي أسهم في تطور النظم الاقتصادية في بلاد الرافدين.

سابعاً- سيطر المعبد على التجارة التي أدت إلى خدمة الفقراء، حيث تم منحهم قروض دون فوائد.

ثامناً- أسهم المعبد في التطور الثقافي في بلاد الرافدين، حيث كان مركزاً للتعليم والتدريب على الكتابة والقراءة وإعداد التلاميذ، ليكونوا أطباء ومحامين وكتبة وكهنة.

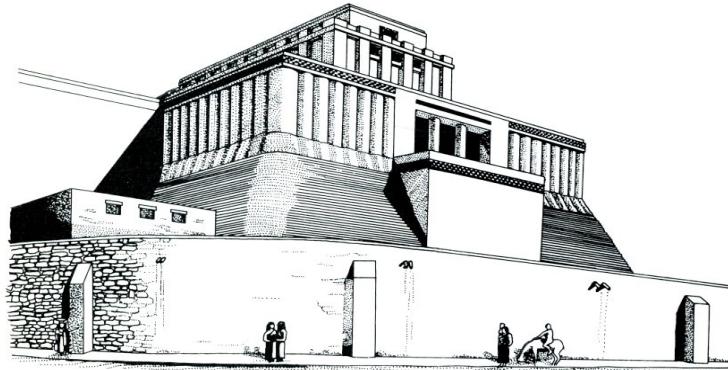
تاسعاً- أسهم العمل الاقتصادي في مزرعة المعبد على تطور الكتابة والتدوين نتيجة للحاجة في احتساب أو حصر الأرباح طبقاً للتطور الاقتصادي الذي شهدته مزرعة المعبد.

عاشرأ- شهدت مرحلة سيطرت المعبد تطوراً في جميع جوانب الحياة، لم تشهد في أثناء سيطرة الحكماء فيما بعد.

الملحق

(1) صورة

معبد أريدو في عصور ما قبل التاريخ يمثل الرسم المعبد بعد إعادة بنائه في عصر بداية الكتابة



المراجع: ستيفنلوييد، آثار بلاد الراافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ت. محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق: 1992م: 53.

(2) صورة

الزاوية



المراجع: خزعل الماجدي ، المرجع السابق: 336.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم مصر والعراق دراسة حضارية، دار النهضة العربية، بيروت: 2002م.
- تقى الدباغ وأخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد: 1983م.
- خرزل الماجدي، سحر البدائيات التكوين في ريعات فجره، النايا للدراسات والتوزيع، دمشق: 2011م.
- سامي سعيد الأحمد، العراق القديم حتى العصر الأكدي، مطبعة جامعة بغداد: 1978م.
- طه باقر وفاضل عبدالواحد، تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد: 1980م.
- عامر سليمان، القانون في العراق القديم، دراسة تاريخية قانونية، دار الكتب والنشر، الموصل: 1977م.
- عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، بغداد: 1981م.
- عمر محمد صبحي عبدالحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1958م.
- محمد حرب فرزات وعید مرعي، دول وحضارات في الشرف القديم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بيروت: 1990م.
- هذیب غزالة، الدولة البابلية الحديثة (626- 639 ق.م)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: 2001م.

ثانياً: المراجع المترجمة:

- جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم، دراسة تحليلية للأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ت. سليم طه التكريت، منشورات وزارة الإعلام، بغداد: 1976م.
- رالف لنتون، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ت. أحمد فخرى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- ستيفنلويid، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ت. محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق: 1992م.
- صموئيل كريمر، من ألواح سومر، ت: طه باقر، بيت الوراق، بغداد: 2010م.
- ف. داكوف س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ت. نسيم واكييم اليازجي، ج الأول، دار علاء الدين، دمشق: 2000م.

المعبد ودوره في تطور حياة شعوب بلاد الراافدين

- ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ت. محرم كمال، ط الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1997م.
 - ول يورانت، قصة الحضارة الشرق الأدنى القديم، ت. زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت: 1988م
- ثالثاً: المراجع الأجنبية:**
- Federico,A, arboriomella, DAI Sumeri A Bobele, La Mesopotamia – storia, cultura, Copyright, U. mursia , editore, S.P.A 1979.

رابعاً: الدوريات :-

- تيومنيف، "اقتصاد الدولة في سومر"، مجلة سومر، ت. سليم طه التكريتي، ج، الأول والثاني، مج . التاسع والعشرون، تصدرها مديرية الآثار العامة، بغداد: 1973م.

خامساً: الموسوعات:-

- محمود شاكر، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة ، تاريخ الأمم والملوك، ج الأول، دارأسامة، عمان:2000م.
- نخبة من العلماء، الموسوعة الأثرية العالمية، ت. محمد عبدالقادر محمد زكي اسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:1997م.